يحـدثنا الوحي الإلهي على لسان بولس الرسول أن ثمار الروح هي "محبـة، فرح، سـلام، طول أناة، لطف، صـلاح، إيمان، وداعة تعفف" وأنه ليس ناموس ضد أمثال هذه (غل5: 22).

وهكذا يرينا أن المحبة هي أولى ثمار الروح

فلنتأمل اليوم في فضيلة المحبة التي هي:

[1]أولى ثمار الروح

المفروض في الإنسـان أن يكون هيكلًا للروح القـدس، ويكون روح الله ساكنًا فيه. ولقـد أرسـل لنا السـيد المسـيح الروح القـدس، لكي يسـكن فينا إلى الأبد، لكي يعمل فينا ويعمل بنا، ويكون لعمله فينا ثمار، هي ثمار الروح.

وفي مقدمة ثمار الروح: المحبة والفرح والسلام. ولنبدأ اليوم بفضيلة المحبة وعلاقتها بالفرح والسـلام.

أهم ما أريد أن أكلمكم عنه اليوم في المحبة، هو محبة الله، ومحبة الخير. وكل منهما تؤدي إلى الأخرى.

محبة الله توصل إلى محبة الخير والفضيلة. ومحبة الخير والفضيلة توصل إلى محبة الله. وكل منهما تقوي الأخرى.

إذا أحب إنسان الخير، لا يكون له صراع مع الشر.

كثير من الناس يضـيعون حياتهم في الصـراع مع الخطيـة أو في مقاومـة الشـيطان، لكي يصـلوا بهـذا إلى حياة التوبة. وحياة التوبة هي البعد عن الخطية التي يحبونها.

أما الإنسان الـذي يحب الخير، فقد ارتفع فوق مسـتوى التوبة، وفوق مسـتوى الصـراع مع الخطية. عبارة "الجسد يشتهي ضد الروح، والروح يشـتهي ضـد الجسـد" هي عبارة خاصـة بالمبتـدئين، الـذين يجاهـدون ضد الجسـد غير الخاضع للروح. أما الجسد النقي، البار، الذي يحب الخير، فهو لا يشتهي ضد الروح.

الإنسان الذي يحب الخير، لا يجاهد للوصول إلى التوبة، إنما كل جهاده هو للنمو في محبة الله ومحبة الخير.

إنه جهاد إيجابي، وليس جهادًا سلبيًا... إنه انتقال من درجة في القداسة إلى درجة أعلى منها.

إنه جهاد لذيذ بلا تعب...

إنمـا يتعب في جهاده، الإنسان الـذي يقاوم نفسه، نفسه التي لا تحب الفضـيلة، بل تحب الظلمـة أكثر من النور. أما الـذي يحب الخير، فقد دخل إلى راحة الرب، دخل إلى سبته الذي لا ينتهي، يتدرج فيه من خير إلى خير أكبر، بلا تعب، بلا تغصب.

إن فضـيلة "التغصب" ليسـت للقديسـين الـذين يحبون الخير. فالذين يحبون الخير، لا يغصـبون أنفسـهم عليه، بل يفعلونه تلقائيا، بلا مجهود.

الـذي يحب الخير، لا يرى وصـية الله ثقيلـة، بـل يحب نـاموس الرب "في ناموس الرب مسـرته، وفي ناموسه يلهج نهارًا وليلا".

صـدق يوحنا الرسول عنـدما قال "ووصاياه ليست ثقيلـة" (1يو5: 3). إننـا نشـعر أن وصايـا الرب ليست ثقيلـة، حينما نحبها، ونتغنى بها ونقول "وصية الرب مضيئة تنير العينين، فرائض الرب مستقيمة، تفرح القلب" (مز 18). إن الذي يحب الرب ويحب الفضيلة، قد ارتفع فوق مطالب الناموس، ودخل في الحب...

إنه يفعل الخير، بلا وصية، بل بطبيعته الخيرة. ليس هو محتاجًا إلى وصية تدعوه إلى الخير.

إنه يفعـل الخير، لأن الخير من مكونـاته، كصورة لله... يفعـل الخير كشـيء عـادي، طبيعي، كالنَفَس الـذي يتنفسه، دون أن يشـعر في داخله أنه يفعل شيئًا زائدًا أو عجيبًا.

ولهذا فإنه لا يفتخر بالخير، إذ أنه في نظره شيء طبيعي...

أما الـذي لا يحب الخير، فإن وصـية الله ثقيلـة عليه. لـذلك فكثيرًا ما تكون بينه وبين الله عـداوة!! يشـعر أن الله يسـلبه لذته (الميالة إلى الخطيـة). ويشـعر أن وصـية الله تقيـده، وتحاول أن تسـيره في طرق لا يريـدها... وهكذا يرى أن طريق الله صـعب، وأنه لا يسـير فيه إلا مضطرًا.

من هذا النوع الذي لا يحب الخير، الإنسان الوجودي الملحد، الذي يرى أن وجود الله، عائق ضد وجوده هو...

أي أنه لاـ يشـعر بوجوده إذا آمن بوجود الله، ولـذلك يقول "الأفضـل أن الله لا يوجـد، لكي أوجـد أنا"...! كل ذلك لأنه لا يحب الخير. وعـدم محبته للخير أوصلته إلى عدم محبة الله. ولهذا فإن الابن الضال، عندما أراد أن يتمتع بحريته وشخصيته، ترك بيت أبيه...!

أما الإنسان الذي يحب الخير، فليست بينه وبين الله عداوة.

لأنه يوجد اتفاق بين مشيئته ومشيئة الله.

إنه يحب الله، ويجد فيه مثالياته العليا، ويحب فيه الخير الذي يشتهيه. ويصبح الله شهوته، وهو لذته.

الإنسان الذي يحب الخير، يعيش في فرح دائم وفي سلام..

وكما يقول الكتاب "افرحوا في الرب كل حين، وأقول أيضًا افرحوا". إنه يفرح بالرب، لأنه يجد لذته في المعيشة معه، ويجد أن مشيئة الله هي مشيئته، وأن مشيئته هي مشيئة الله.

متى إذًا يبدأ الأنسان في أن يفقد محبة الله ومحبة الخير؟

لما يبدأ في معرفة الشر، وفي مذاقته، وفي الالتذاذ به.

وهـذه هي التجربـة التي أوقع فيهـا الشـيطان الإنسـان الأول. كان آدم وحواء لا يعرفان إلا الخير، فأدخلهما في معرفـة الخير والشـر. أي أضيفت إلى معرفتهما للخير، معرفة الشر.

بدأ الإنسان يختبر الشر، وتكون بينه وبين الشر علاقة وعاطفة.

هناك أشياء، من الخير للإنسان ألا يعرفها وألا يختبرها. وعن هذه قال الكتاب "الذي يزداد علمًا، يزداد غمًا"...

قـال الشـيطان لحواء "يوم تأكلاـن تنفتـح أعينكما". وكان خيرًا لهما ألا تنفتـح أعينهما على ذاك اللون من المعرفـة. يا ليت أن الإنسان لا يعرف سوى الخير، حينئذ يعيش سعيدًا. يعيش في محبة للناس، لأنه لا يعرف إلا الخير الذي فيهم، وليس غير.

سيـأتي وقت، في الأبديـة السـعيدة، حينمـا نتقيـأ ثمرة معرفـة الخير والشـر. ولا نعود نعرف سوى الخير فقط، وننسـى معرفة الشر.

سيمحو الله من ذاكرتنا كل الشـر الـذي رأيناه تحت الشـمس، ولا يبقى فينا سوى الخير وحده، نعرفه، ونتأمله، ونختبره، ونذوقه، فنزداد حبًا له... ونمارسه بالحب.

نحن لا نفعل الخير مضطرين، ولا مأمورين، ولا متغصبين، وإنما نفعل الخير حبًا في الخير.

تأكد أنه عندما يزن الله أعمالك في الأبدية، ليرى ما فيها من خير، سـيزن الحب الذي فيها، ولا يأخذ الله من أعمالك سوى الحب فقط، ولا يكافئك إلا على ما فيها من حب.

كيف يطبق هذا المبدأ في حياتنا وفي أعمالنا؟

خـذ الخدمـة كمثـال: إنهـا ليست مجرد نشـاط أو تعب أو عظـات، إنمـا: هل أنت تخـدم وأنت تحب الناس، وتحب خلاصـهم، وتحب بنيان الكنيسة والملكوت؟ وتحب الله الذي يحبهم، الذي يريدهم أن يحبوه... تأكد أن الله سوف لا يأخذ من خدمتك سوى الحب...

وهكذا ينجح في الخدمة، من يراها حبًا. حب الله والناس يقوده إلى خدمتهم. وكلما يخدمهم يزداد حبًا لهم، فيزداد خدمة لهم. ونفس الوضع نراه في الصدقة...

إنها ليست مجرد طاعة لوصية، فالكتاب يقول "المعطي بسرور يحبه الرب". ليس مالك الذي تعطيه هو الذي يحسب لك عند الله، وإنما الحب، الحب الذي يرتفع فوق مستوى العشور والبكور والنذور، وفوق مستوى الأرقام، ويعطي بسخاء ولا يعيّر.

أولى ثمـار الروح القـدس هي المحبـة. لـذلك عنـدما عـاتب الرب ملاـك كنيسـة أفسـس، ودعاه إلى التوبـة، لخّص عتابه كله في عبارة واحدة، لم يذكر فيها خطية معينة، إنما قال:

"عندي عليك أنك تركت محبتك الأولى" (رؤ2: 4).

من أجل هذه المحبة قال الرب "يا ابني أعطني قلبك". وإن أعطيتني هذا القلب، فحينئذ "ستلاحظ عيناك طرقي". فتكون إطاعة الوصايا هي نتيجة طبيعية للمحبة.

كثير من الناس سلكوا في حياة التوبة من الخارج، ولم يسلكوا في الحب الذي من الداخل، فأصبحت بينهم وبين الله علاقات وممارسات وطقوس، وليس بينهم وبينه حب، ففشلت حياتهم...

لما سئل السيد المسيح "أية وصية هي العظمى في الناموس؟". أجاب إنها المحبة بشطريها: تحب الرب إلهك من كل قلبك... وتحب قريبك كنفسك... بهذه المحبة يتعلق الناموس كله والأنبياء.

كثيرون سيقولون له في ذلك اليوم "يا رب باسمك تنبأنا، وباسمك أخرجنا شياطين.." ولكنه سيترك كل هذا ويسألهم عن الحب الذي فيهم.

إنها ليست مسألة معجزات ومواهب، فما أكثر الذين هلكوا على الرغم من مواهبهم. لذلك فإن الرسول بعد أن تحدث عن المواهب الروحية، قال "أريكم طريقًا أفضل"... وتحدث عن المحبة.

وبمقدار محبتنا لله، سيكون فرحنا به في الأبدية، وستكون سعادتنا.

نجم سيمتاز عن نجم في الرفعة. وهذه الرفعة ستحددها المحبة.

وإذا أحببت الله سوف لا تخاف، لأن المحبة تطرح الخوف إلى خارج... إذا أحببت سوف لا تخاف الله، ولا تخاف الخطية ولا تخاف الناس، ولا تخاف الموت...

بالحب يعيش الإنسان في فرح دائم، يفرح بالرب الذي يقوده في موكب نصرته، من خير إلى خير، ويفرح لتمتعه بالرب، ولأن الخطية لا مكان لها في قلبه ولا مكانة.

حقًا قد تحدث له حروب ومقاومات من الشيطان، ولكنها ضيقات من الخارج فقط، وأما في الداخل فيملك عليه السلام. وهكذا يجتمع في قلبه المحبة والفرح والسلام.

أريدكم أن تدربوا أنفسكم على هذا الحب، أخرجوا من مظاهر الحياة الروحية، وادخلوا إلى عمق الحب. والمحبة لن تسقط أبدًا.

لقد أنكر بطرس معلمه، وسب ولعن وقال: لا أعرف الرجل. ولكن الرب لم يسأله سوى سؤال واحد "أتحبني؟". وأجاب بطرس

"أنت تعلم يا رب كل شيء. أنت تعلم أني أحبك".

وبهذه المحبة نال الغفران، ورجع إلى رتبته الرسولية.

---

1. مقال لقداسة البابا شنوده الثالث بمجلة الكرازة السنة السادسة – (العدد الرابع والثلاثون) 22-8-1975م